

الكشاف

" من المؤمنين رجال " الفتح : إن جعلت اللام للجنس . وإن جعلتها للعهد فموصولة كقوله : " ومنهم الذين يؤذون النبي " التوبة : فإن قلت : كيف يجعلون بعض أولئك والمنافقون غير المختوم على قلوبهم قلت : الكفر جمع الفريقين معاً وصيرهم جنساً واحداً . وكون المنافقين نوعاً من نوعي هذا الجنس - مغايراً للنوع الآخر بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة والاستهزاء - لا يخرجهم من أن يكونوا بعضاً من الجنس فإن الأجناس إنما تنوعت لمغايرات وقعت بين بعضها وبعض . وتلك المغايرات إنما تأتي بالنعوية ولا تأتي الدخول تحت الجنسية . فإن قلت : لم اختص بالذكر الإيمان بـ [] والإيمان باليوم الآخر قلت : اختصاصهما بالذكر كشف عن إفراطهم في الخبث وتماديهم في الدعارة لأن القوم كانوا يهوداً وإيمان اليهود بـ [] ليس بإيمان لقولهم : " عزيز ابن الله " التوبة : وكذلك إيمانهم باليوم الآخر لأنهم يعتقدونه على خلاف صفته فكان قولهم : " إيماناً بـ [] وباليوم الآخر " خبثاً مضاعفاً وكفراً موحهاً لأن قولهم هذا لو صدر عنهم لاعلى وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم فهو كفر لا إيمان . فإذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين واستهزاء بهم وأروهم أنهم مثلهم في الإيمان الحقيقي كان خبثاً إلى خبث وكفراً إلى كفر . وأيضاً فقد أوهموا في هذا المقال أنهم اختاروا الإيمان من جانبه واكتنفوه من قطريه وأحاطوا بأؤله وآخره . وفي تكرير الباء أنهم ادعوا كل واحد من الإيمانين على صفة الصحة والاستحكام . فإن قلت : كيف طابق قوله : " وما هم بمؤمنين " قولهم : " إيماناً بـ [] وباليوم الآخر " والأول في ذكر شأن الفعل لا الفاعل والثاني في ذكر شأن الفاعل لا الفعل . قلت : القصد إلى إنكار ما ادعوه ونفيه فسلكت في ذلك طريق أدى إلى الغرض المطلوب . وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره وهو إخراج ذواتهم وأنفسهم من أن تكون طائفة من طوائف المؤمنين لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الإيمان . وإذا شهد عليهم بأنهم في أنفسهم على هذه الصفة فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفى ما انتحلوا إثباته لأنفسهم على سبيل البت والقطع . ونحوه قوله تعالى : " يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها " المائدة : هو أبلغ من قولك : وما يخرجون منها . فإن قلت : فلم جاء الإيمان مطلقاً في الثاني وهو مقيد في الأول قلت : يحتمل أن يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه وأن يراد بالإطلاق أنهم ليسوا من الإيمان في شيء قط لا من الإيمان بـ [] وباليوم الآخر ولا من الإيمان بغيرهما . فإن قلت : ما المراد باليوم الآخر قلت : يجوز أن يراد به الوقت الذي لا حد له وهو الأبد الدائم الذي لا ينقطع لتأخره عن الأوقات المنقضية . وأن يراد الوقت المحمود من النشور إلى أن يدخل أهل الجنة

الجنة وأهل النار النار لأنه آخر الأوقات المحدودة الذي لاحد للوقت بعده .
والخدع : أن يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه . من قولهم : ضب خادع وخدع إذا أمر
الحارش يده على باب حجره أوهمه إقباله عليه ثم خرج من باب آخر . فإن قلت : كيف ذلك
ومخادعة ؟ والمؤمنين لا تصح لأن العالم الذي لاتخفعليه خافية لا يخدع والحكيم الذي لا
يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون وإن جاز أن يخدعوا لم يجر أن يخدعوا ألا نرى إلى قوله : .
واستمطروا من قريش كل منخدع .
وقول ذي الرمة : .
إن الحلیم وذا الإسلام یختلب